ملاحظة حول (عديد) بمعنى (معدود)

للسيد توفيق أبوالرب

يلاحظ المعنيُّ بالعربية الفصيحة هذه الأيام أن ثمة اسلوبين مُحدَثين شائعين في استعمال كلمة «عديد»، الأول: ان تستعمل الكلمة وقد دخلت «أل» عليها، وجاء الحرف «من» بعدها، نحو قول القائل: لقيتُ العديدَ من الاصدقاء في السوق. وفي هذا الاسلوب لا يتورع الكاتب أو القائل عن أن يحلّي بالألف واللام الاسم «عديد» في ابتدائه الكلام، أو في اثنائه دون مسوغ، على الرغم من أن «أل» العهدية «إمّا ان يشار بها الى معهود ذهني أو ذكريّ، فالأول كقولك: جاء القاضي، اذا كان بينك وبين مخاطبك عهد في قاض خاص، والثاني كقوله تعالى: فيها مصباح المصباح...»[1].. و«عديد» في هذا الاسلوب يقصد بها «الكثير» كما هو واضح من الاستعمال!

.. وأما الاسلوب الثاني فيلاحظ عليه ان كلمة «عديد» تأتي دائماً فيه نعتاً لاسم مذكور قبلها نحو قول القائل: لقيتُ اصدقاء عديدين في السوق.

ويلاحظ أنّ كلمة «عديد» تعني ايضاً «الكثير» وفق هذا الاسلوب. فهل كان القدماء يستعملون كلمة «عديد» استعمال المحدثين؟؟

* * *

(١) ابن هشام، شذور الذهب، ص١٤٩، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية ـ القاهرة ـ ١٩٦٥.

قبل اكثر من سنة قدّر لي ان احضر مناقشة اطروحة ادبية في جامعة اليرموك، وقد لفت نظري ذلك اليوم أن الحضور كثار، وقد ارجعت ذلك ـ بيني وبين نفسي ـ الى أن احد المناقشين في اللجنة هو استاذ عراقي مشهور، فقد كان هو الدكتور احمد مطلوب الذي لم يتوانَ عن ان يتجشم مشقة الحضور من القطر العراقي الشقيق؛ ليناقش رسالة جامعية تدور حول كتاب «التشبيهات» لابن أبي عون، وفي اثناء مناقشته الطالب، كان مما أخذه عليه انه استعمل كلمة «عديد» نعتاً بمعنى «كثير»، وكان رأيه ان كلمة «عديد» تعني العدد فقط، ولا تأتي بمعنى «كثير»، واستشهد على ذلك بقول السموأل:

«تعيّرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها: إن الكرام قليلُ»

وهذا الذي ذهب اليه الدكتور مطلوب هو حق، وهو واضح، من تأمل البيت المذكور، ولكنه ليس الشاهد الوحيد، فثمة شاهد آخر، يتردد في كتبنا النحوية القديمة، لاحظت أنه يتضمن كلمة «عديد» بمعنى «عدد»، وهذا الشاهد هو قول الشاعر:

«عددت قومي كعديد السطيَّس

إذ ذهب القوم الكرام ليسي»

وقد استشهد ابن هشام الانصاري بالبيت في «مغني اللبيب» على أن الراجز استعمل الفعل الجامد «ليسي» دون أن يأتي قبل ياء المتكلم بنون الوقاية! وقد علق على البيت الذي لم يسمّ صاحبه بقوله: «وأما قوله عددت قومي . . . الخ فضروره»[1] مما يدل على ان صاحبه ممن يحتج بهم من

---

(١) مغني اللبيب، ج٢، ص٣٤٤، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. مطبعة المدني، القاهرة، (دون تاريخ).

الناحية اللغوية، وليس من المحدثين أو المولدين. وقد استشهد به ابن هشام ايضا في اوضحه، فنسب شارح كتابه محمد محيي الدين عبدالحميد البيت لرؤبة بن العجاج، ثم شرح كلمة «عديد» في البيت بقوله: «العديد كالعدد، يقال: هؤلاء قوم عديد الثرى، والمعنى أنهم عدد الثرى»[1].

وحتى المولدون من الشعراء فقد استعملوا كلمة «عديد» استعمال القدماء، أي بمعنى «عدد»، نحو قول ابن هانىء الاندلسي يصف اسطول المعز لدين الله الفاطمي:

«أما والجواري المنشآت التي سرت
لقد ظاهرتها عدة وعديد»

ولذلك كله فليس بغريب ان نجد المعنيين بفصاحة الاستعمال اللغوي من المحدثين ينبهون الى ان استعمال كلمة «عديد» بمعنى «كثير» هو من الاغلاط اللغوية الشائعة، حتى اضطر واضعو منهاج اللغة العربية للمرحلة الاعدادية مثلاً الى التنبيه الى هذا الخطأ على حاشية احدى المقطوعات المقرّرة، حيث لم يتورع الكاتب عن استعمال «عديد» نعتاً بمعنى «كثير»[2].

أجل: إن كلمة «عديد» تعني «العدد»، ونحن نسلم بذلك! ولكن: هل صحيح أنّ كلمتي «عديد» و«عدد» لا تتضمنان معنىٰ «الكثرة»؟! اننا دون شك يمكن أن نلمح منهما معنىٰ الكثرة من خلال استعمالها: فنحن حين نقول مثلاً: كانت قبيلة تميم ذات عدد في الجاهلية وفي صدر

---

(١) اوضح المسالك الى الفيه ابن مالك، ص٧٨، ج١، طه دار احياء التراث العربي - بيروت ١٩٦٦.

(٢) انظر منهاج اللغة العربية للصف الاول الاعدادي: ص٥١.

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

«كم لبثتم في الارض عدد سنين» والمراد به هنا الالفاظ التي تعد بها الاشياء»[1].

واذا كان مجمع القاهرة قد أقر ان تأتي كلمة «عديد» بمعنى «معدود»، فمعنى ذلك انه يجوز ان ينعت بها الاسم، كما يجوز النعت بكلمة «معدودة»، فنقول: بقي معي دنانير عديدة مثلما نقول: بقي معي دنانير معدودة، . . .ولكن لنا مع ذلك أن نلحظ ان ثمة فرقاً دلالياً بين النعتين، فنحن إذ نقول: بقي معنا دنانير معدودة، فانما نعني في الغالب «دنانير قليلة» ربما تعد على اصابع اليد، هذا ما يمكن أن يفهمه القارىء أو السامع، فكلمة «معدود» اذا جاءت نعتاً فإنها تعني في الغالب القلة، ولعل الذي حدد هذا المعنى الدلالي لها هو قوله تعالى: «وشروه بثمن بخس دنانير معدودة»[2]، فالثمن كما رأينا بخس، وهو دراهم معدودة أي قليلة، ولكننا حين نقول: بقي معنا دنانير عديدة، فان القارىء او السامع يفهم في الغالب ان الدنانير كثيرة، وهو المعنى الشائع للكلمة كما رأينا ـ ومعنى ذلك ان مجمع القاهرة لم يحل المشكلة اللغوية القائمة حول استعمال كلمة «عديد» حلاً جذرياً، وانه لم يزل فيها ما يمكن أن يقال.

---

(١) شذور الذهب، ص٤٥٧، ط١٠، تحقيق محمد محيي عبدالحميد.

(٢) سورة يوسف آية ٢٠.